الظاهرة العذرية في دراسات المحدثين

إشكالية المصطلح والمفهوم والتفسير

بحث مقدم من

الدكتور / عثمان خالد محمد الطاهات

أستاذ مساعد في جامعة سلمان بن عبد العزيز

كلية العلوم والدراسات الإنسانية

الخرج

إشكالية الظاهرة العذرية في دراسات المحدثين

المقدمة:

تُعدُّ الظاهرة العذرية من الظواهر الأدبية المهمّة في تاريخ الأدب العربي ، فقد برزت في العصر الأموي بشكل كبير وأصبحت ظاهرة مستقلة . وذلك كما يعزوه كثير من الباحثين والدارسين المحدثين إلى الأحداث السياسيّة التي حصلت في ذلك العصر وما رافق ذلك من تحوّلات(١)جذرية في بنية المجتمع العربي آنذاك في كافة المجالات وعلى جميع الأصعدة.

تُنسب الظاهرة العذرية إلى بني عذرة " وهو عذرة بن سعيد بن هزيم بن سويد .... بن قضاعة، واليهم ينسب العشق والتتيم ، ومنهم عروة بن حزام صاحب عفراء وجميل صاحب بثينة "(٢) إذ أطلق الغزل العذري على الشعر الذي أُثر عنهم وكان نتاجا لعلاقة حب بين الرجل والمرأة تتسم – كما يرى بعض الباحثين – بالعفة والطهارة ؛إذ يكتفي فيه المحبون بالمعاناة والتلذذ بالألم . ثمّ تبلور مصطلح الغزل العذري حتى أصبح يطلق على الشعر الذي

(١) انظر تاريخ الآداب العربية، –من الجاهلية حتى عصر بني أمية، كارلو نالينو، نشر مريم نالينو ، تقديم طه حسين ،ط(القاهرة ، دار المعارف ،١٩٥٤م)ص١٠١.وحديث الأربعاء طه حسين ،،ط(القاهرة: دار المعارف ، د.ت) ج١، ص ١٦٩–١٧٧ ،وكان طه حسين قد نشر في صحيفة جريدة السياسة مقالات عن الغزل وأعلامه ضمنت فيما بعد في كتابه حديث الأربعاء .

(٢) انظر جمهرة انساب العرب ، علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط(القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٨ م) ص ٤٥٠ .

يصف عاطفة الحب العفيف الصادق وان لم يكن رجاله من بني عذرة ، وقد استخدم المحدثون مصطلح الغزل العفيف ليدلّ على الغزل العذري ([1]) .

يكاد يتّفق كثير من الباحثين على أنّ الظاهرة العذرية متجذرة في الأدب القديم تعود إلى العصر الجاهلي ، وعرف بها طبقة من الشعراء أطلق عليهم المتيمين تقترن أسمائهم بأسماء محبوباتهم مثل المرقش الأكبر وأسماء ، وعبد الله بن علقمة وحبيشة ، وعنترة وعبلة وغيرهم ([2]).

ازدهرت الظاهرة العذرية في العصر الأموي في بادية نجد والحجاز ،ونتج عنها شعر يفيض بالعاطفة والألم وقصة حب اتسمت بالعفة والطهارة تناقلتها الأجيال وحفظتها المصادر الأدبية المختلفة وقد أطلق على هذا الحب في التاريخ الأدبي اسم (الحب العذري).

---

(٣) كان طه حسين رائدا في استخدام مصطلح الغزل العفيف في الظاهرة العذرية ، انظر حديث الأربعاء ،ص ١٨٨– ١٩٠ .وانظر اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، يوسف بكار ، ط٢(بيروت : دار الأندلس، ١٩٨١ م) ص٤٩، وشعر أبي نواس في ضوء النقد الحديث ' احمد دهمان ، (منشورات جامعة البعث، الدار الجامعية للطباعة، ١٩٨٢ م) ص ٣٤٠.

(٤) انظر الغزل في العصر الجاهلي ، احمد الحوفي ، ط(بيروت : دار القلم ، ١٩٦١ م) ص٣١١ ،ويوسف بكار ، المرجع السابق ، ص٤٩ ، والحب والجمال في شعر خريستو نجم ، حياة حدارة المراد، ط (بيروت : المكتبة الثقافية ،١٩٩٤ م) ص١٠٠.

حظيت الظاهرة العذرية باهتمام القدماء والمحدثين على حد سواء إذ قام القدماء برواية الحكايات العذرية وأشعارها بتفاصيلها الدقيقة مبينين أهم الصعوبات التي واجهها العاشق العذري مع محبوبته ومن أهمها "الشعر والشعراء" ،و "الأغاني "، و" مصارع العشاق" ، و"تزيين الأسواق " وغيرها ،غير أن مؤلفيها اعتنوا بجمع الأخبار والأشعار وكان بعضهم قد اعتمد على ثنائية السند والمتن في رواية أخبار العذريين،من غير تحليل أو تمحيص لها فلم تتعدى الجمع والرواية.

أما الباحثون المحدثون فقد تناولوها بالدراسة والتحليل ، وألفوا فيها الكثير من الكتب والأبحاث ، وكان كل باحث منهم يحاول تفسير الظاهرة ودراستها من جوانبها المختلفة للوقوف على أسباب شيوعها وانتشارها في العصر الأموي، وقدموا دراسات مختلفة تنوعت حسب رؤية كل باحث منهم ، وطبقوا على الظاهرة العذرية العديد من المناهج النقدية الحديثة مثل: المنهج التاريخي ،والنفسي ، والفني ، والبنيوي التكويني ، والأسطوري . وقد حاول الباحثون من خلالها تجلية الظاهرة من جميع جوانبها ، فبذلوا جهودا مضنية وشاقة إلا أنّ هذه الدراسات تحتوي على كثير من الإشكاليات التي تجعل الدارس لها يتساءل عن الكثير من جوانب الظاهرة العذرية لعدم تقديم هذه الدراسات الأسباب الكافية لتحليلها وشرحها ، ولعل السبب يعود في ذلك إلى أنها في حد ذاتها ظاهرة مثيرة للجدل ومحيرة ، فلا زال هناك الكثير من الجوانب التي تحتاج إلى توضيح لأن كل دراسة لم تقدم ما يمكن أن يجلي الظاهرة من جميع جوانبها ويحللها تحليلا دقيقا ، إذ بقيت الكثير من الإشكالات التي ما زالت تلح على الدارس لها وهي إشكالات

تمثلت في جوانب مختلفة منها وستقوم الدراسة الحالية بتوضيحها ومناقشتها والوقوف عليها ، وقد تمثلت في الجوانب التالية :

أولا- إشكالية مصطلح (العذرية) .
ثانيا- إشكالية مفهوم الظاهرة العذرية .
ثالثا- إشكالية التفسير .

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي في تناول الظاهرة العذرية من حيث تأصيل المصطلح ، وبيان مفهوم الظاهرة العذرية ، وآراء الباحثين المحدثين في تفسيرها من خلال عرض آرائهم المختلفة ، وحجج كل منهم حول تفسير نشوئها وبروزها كظاهرة أدبية في فترة معينة من الزمن .

أولا- إشكالية مصطلح العذرية :

تنسب العذرية إلى بني عذرة ([1])، فيقال حب عذري وهو نوع من العلاقة بين الرجل والمرأة يتسم بالطهر والعفاف ، ويقال غزل عذري للدلالة على الشعر الذي ينتج عن هذه العلاقة ، وقد عرف القدماء ماهية الحب العذري وصفات الشعر الغزلي الناتج عنه

(٥) انظر تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ، شوقي ضيف ، ،ط (القاهرة :دار المعارف ،١٩٦٣م) ص١٤٩.والحب العذري عند العرب ، ط١ (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٩ م) ص١٩ وما بعدها . والغزل في العصر الجاهلي ، احمد الحوفي ،،ص ١٦٤. والحب المثالي عند العرب ، يوسف خليف ، ،ط (القاهرة : دار قباء ، د ت) ص ١٣. والحياة العاطفية بين الذرية والصوفية ، محمد غنيمي هلال ،، ط٢(القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ م) ص ١٦ وما بعدها وغيرهم .

وميزوا بينه وبين أنواع الغزل الأخرى ، ولكنهم لم يطلقوا عليه هذه التسمية ، فقد روي عن أبي عبيدة أنه قال لنصيب الشاعر حيث رآه يتأوه من العشق : " إنما يهتز إذا عشق من انتسب عذريا، أما أنت فمالك ولهذا " ([1])وقيل لرجل ممن الرجل ؟ فقال: من قوم إذا عشقوا ماتوا. فقالت جارية سمعته : عذري ورب الكعبة ([2])، وقد ورد لفظ المصطلح عند بعض الشعراء العذريين إذ نسبوه إلى قبيلة عذرة ، ومن ذلك أن جميل بن معمر وبخ أحد أدعياء العشق من عذرة بقوله [3]:

ويُعجِبُني منْ جعفرٍ أنَّ جَعْفَراً ملحّ على قرص ، ويبكي على جُمْلِ

فلو كُنتَ عذريَّ العلاقةِ ، لم تكن بَطِيناً ، وأَنساكَ الهوى كثرةَ الأكلِ

وقوله أيضا[4] :

وما وجدَتْ وجْدي بها أُمُّ واحد ولا وَجَدَ النَّهديُّ وجْدي على هِنْدِ

ولا وجَدَ العُذْريُّ عُرْوَةُ إذ قضى كوجْدي ولا مَنْ كان قبلي ولا بَعْدي .

---

[1]) الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ط٢(بيروت ،: دار الثقافة ، ١٩٦٣ م) ج٢ ص ٣٦٩.

[2])الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق احمد محمد شاكر ، ط (القاهرة : دار المعارف ،١٩٦٦م) ج١ ص٤٤١ .

[3]) انظر ديوان جميل بن معمر ، تقديم بطرس البستاني ، ط (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م) ص ١٢٨.

([4])انظر المرجع نفسه ، ص ٢٠ .

وقد ورد المصطلح في شعر قيس بن الملوح وينسبه إلى قبيلة عذرة مشيرا إلى عروة بن حزام أول من شهر بالعشق في قبيلة عذرة وذلك بقوله [1] :

عجبتُ لعُروةَ العُذريِّ أمسى أحاديثاً لقومٍ بَعدَ قَومِ

وعُروةُ ماتَ مَوتاً مُستريحاً وها أَنذا أَموتُ بكلِ يومِ .

وكان محمد بن داود الأصفهاني(ت٢٩٦ه) أول من وضع مقاييس الحب العذري في التراث العربي ولكنه أطلق عليه الحب العفيف ([2])، واستخدم بعض الباحثين والدارسين المحدثين الذين درسوا هذه الظاهرة الغزل العذري فأطلقوا عليه الغزل العفيف([3]).

أما في العصر الحديث فيعد طه حسين([4]) أول من ابتدع مصطلح (العذري) وأطلقه على هذا النوع من الحب وشعره ،وقد بين أن سبب إطلاقه مصطلح العذري ليس نسبة إلى بني عذرة ، وإنما نسبة إلى مذهب ارتضاه هؤلاء في الحب ، وقد تناول هذه المسالة أثناء حديثه عن أقسام الغزل في العصر الأموي ، فأورد قوله بان هؤلاء الشعراء الغزليين عذريين " لا لأنهم

---

[1])انظر ديوان مجنون ليلى ، جمع وتحقيق عبدا لستار احمد فراج ، ط(القاهرة :دار مصر للطباعة ، د ، ت) ، ص ٢٥٦ .

١١)انظر الزهرة ، أبو بكر محمد بن داود الأصفهاني ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، ط٢(الأردن ، الزرقاء :دار المنار ، د ت) ص ١١٧ ، باب بعنوان " من كان ظريفا فليكن عفيفا " .

١٢) انظر حديث الأربعاء ، طه حسين ، ج١، ص ١٨٥ .واتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، يوسف بكار ،،ص ٤٩.

١٣) انظر حديث الأربعاء ، ج١ ، ص١٨٧ .

ينتسبون إلى عذرة بل لأنهم يتخذون هذا الغزل العذري مذهبا في الشعر "([1]). وقد حد هذا الصنف من الغزل لارتباطه المباشر بالعفة التي تعد من أبرز المفاهيم التي يقوم عليها الحب العذري وغزله فيطلق عليه تسمية أخرى وهي " الغزل العفيف "([2]) وهو هنا يرجع هذه التسمية إلى العفة وهي السمة التي طبع بها الحب العذري وغزله والتي تعني " ترك الشهوات من كل شيء وحفظ الفرج مما لا يحل ويحرم "([3]) و يعني البعد الكلي والمطلق عن أي شيء يدنسه ويمس نقاءه . وبالرجوع إلى المعنى اللغوي تبين أن مصطلح العذري يرتبط ارتباطا وثيقا بالعذرة وهي" البكارة "([4]) بكارة المرأة التي لم تتصل اتصالا جنسيا مع الرجل وبالتالي يأخذ معنى العزوف عن الاتصال الجنس بين العاشقين والتسامي بالروح والنفس في علاقة الحب بينهما، وقد أدرج طه حسين مفهوم العفة باعتباره مرادفا لمصطلح العذري وهذان المصطلحان المترادفان يشكلان النسيج العذري الذي يقوم عليه هذا الصنف من الحب وغزله .

يتعارض هذا التصور – تصور طه حسين – مع ما ذهب إليه كثير من الباحثين والدارسين المحدثين حين نسبوا مفهوم العذرية إلى بني عذرة ، وهكذا لم يعد مصطلح العذرية يكتسب ماهيته من ذاته ، وإنما من نسبته إلى بني عذرة ، وهؤلاء نظروا إلى الحب العذري من الخارج ، وعليه فان رأي طه حسين أدق في تعريفه

---

[1]) حديث الأربعاء ،ج١ ص١٧٤ .

[2]) حديث الأربعاء . ج١ ص ١٩٠ .

[3]) انظر المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ، القاهرة ، ١٩٧٢م ،ج٢ ص ٦١٩ .

[4]) انظر المرجع نفسه ، ص٦١٩.

للحب العذري وهو تعريف ضمن استمرارية الظاهرة في خلاصها من المكان " بني عذرة " لينفتح هذا المفهوم على كل عصر تتوفر في غزله ثنائية العفة والتسامي في الحب .

لذا فإن أصل تسمية المصطلح يعود إلى بني عذرة ولكن من المرجح أنه انحرف عن أصل نشأته في أذهان الدارسين والمتذوقين لهذا النوع من العلاقة وأصبح يحمل معنى آخر هو العذرة بمعنى" البكارة " خاصة وأن هناك من الشعراء من برزوا في هذا المجال ليسوا من قبيلة عذرة .

إذن هناك ثلاث تسميات لأصل المصطلح وهي : عذرة (القبيلة) ، والعفة ، والبكارة وهي العذرة بمعنى البكر أي (العذراء) ، ولعل من المرجح أن تكون الأخيرة هي المراد إطلاقها على هذا النوع من الحب خاصة أن الكثير ممن اشتهروا به ليسوا من قبيلة عذرة ([1]) .

ثانيا- إشكالية مفهوم العذرية :

مثلّ مفهوم الحب العذري وغزله إشكالية لدى الباحثين والنقاد الذين قاموا بدراسته ،إذ اجتهدوا لتخريج تحديدات لهذا النوع من الغزل وذلك حسب مفهوم كل منهم عنه من خلال قراءاتهم المستفيضة له ولقصة الحب العذري،فجاءت تحديداتهم متباينة فيها بعض الاختلاف .وقد رصدتها عند أشهرهم للوقوف عليها ومقارنتها مع بعضها لمعرفة القواسم المشتركة بينها،والاختلافات التي تنطوي عليها .

---

١٨) قيس بن الملوح من بني عام ، قيس بن ذريح من كتانه ، وتوبة بن الحمير من بني عقيل ، ومجنون ليلى من بني عامر .

كان طه حسين رائدا في تسمية الغزل العذري الغزل العفيف حيث قال:"الغزل العفيف هو في حقيقة الأمر مرآة صادقة لطموح هذه البادية إلى المثل الأعلى في الحب من جهة، ولبراءتها من ألوان الفساد التي كانت تعمر المدينة"([1]). أما زكي مبارك فإنه يذهب إلى أن الحب العذري : "هو حب خالص من شوائب الدنس والرجس،هو حب طاهر شريف لا يعرف مخزيات المآتم،ولا منديات الأهواء"([2]). في حين يقول شكري فيصل عنه : "هو هذا الحب الذي يتصف بالحرارة الملتهبة والديمومة الدائمة والعفة المحصنة،ومن هذه الأقانيم الثلاثة يتألف جوهره وتقوم ذاته أنه يجمع هذه الصفات جميعا في نفس واحدة،ثم يدعها تئن وتشكو،وتتضرع وتتلوى.....وليس الغزل العذري إلا اعتصارا لهذه الضراعة وهذا الأنين"([3]).

ويرى أحمد محمد الحوفي الغزل العذري على أنه : " هذا الضرب من الغزل الذي تشيع فيه حرارة العاطفة،وتشع فيه الأشواق،ويصور خلجات النفس وفرحة اللقاء وآلام الفراق،ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظرتها وقوة أسرها،.....إن هذا الحب ليس مما يقع بين الرجل والمرأة.فهذا الغزل

---

١٩) حديث الأربعاء ، طه حسين ، ج ١ ص ١٩٠ .

(٢٠) العشاق الثلاثة ، زكي مبارك ، سلسلة اقرأ ، ط١ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٤٤ م) ص١٥ .

٢١) تطور الغزل في الجاهلية والإسلام ، شكري فيصل ، ط٥ (بيروت :دار العلم للملايين ،د . ت) ص ٢٨٨ .

عذري إذا قيس إلى الغزل المكشوف أو الحسي ،لأن نصيب الجسد منه قليل"([1]) .

ويقرُّ محمد غنيمي هلال بأنّ الغزل العذري : "هو الغزل الذي يتحدث عن الحب العفيف،وعما يلاقيه المحب من عذاب،وما يعانيه من تباريح،في تحرز من الاستهتار،وبعد عن الخلاعة وروح الاستمتاع،مع طابع ديني واضح فكان عماد هذا الغزل أمران: الصدق والعاطفة "([2]) .

لكن يوسف خليف يبين أن الحب العذري : "هو حب روحي يتعلق فيه العاشق بمحبوبة واحدة،يرى فيها مثله الأعلى الذي يحقق له متعة الروح ،ورضا النفس، واستقرار العاطفة،وهو استقرار يجعل فتنته بواحدة تقف عندها أماله، وتتحقق فيها كل أمانيه،فهي الهدف الذي يطلبه، والغاية التي يسعى إليها،والأمل الذي يرتجيه"([3]) .

أما شوقي ضيف فلا يختلف عمن سبقوه حيث يقول:"هو غزل نقي طاهر ،ممعن في النقاء والطهارة، لا يعرف الحب الذي تدفع إليه الغرائز،وإنما يعرف الحب العفيف السامي، الذي يَصْلِي المُحِبَّ بناره،ويستقر بين

---

٢٢) الغزل في العصر الجاهلي، د احمد محمد الحوفي ، ص١٦٥.

٢٣) النقد الأدبي الحديث،د.محمد غنيمي هلال،ط(بيروت:دار الثقافة،١٩٧٣م)ص١٩٤.

٢٤) الحب المثالي عند العرب ،د.يوسف خليف، ص١١

أحشائه،حتى ليصبح كأنه محنة أو داء،لا يستطيع التخلص منه ،ولا الانصراف عنه "([1]) .

ويقول في مؤلف آخر:"وهو غزل يعبر عن أسمى العواطف التي يفيض بها القلب الإنساني. غزل نحس فيه لذع الحرمان، وان الرجل يتهيب الاقتراب من المرأة ، فهي كائن ملائكي تحول قدسيته دون لمسه،وحتى هي إن وصلته لا يزال يشعر شعورا عميقا بالألم واليأس، بل قد يفضي حبه إلى الجنون أو الموت، وهو لا يأتي ذلك وحده بل تأتيه المرأة أيضا سعيدة قريرة العين"(٢) .

ويبين عبد القادر القط أن شعر الغزل العذري هو:"شعر طائفة من الشعراء، انصرفوا انصرافاً يكاد يكون تاماً عن المجتمع، وداروا في فلك تجربة واحدة هي تجربة الحب المقرون باللوعة والفشل والحرمان ،وقد مضى كل منهم يقول الشعر طوال حياته الفنية في واحدة عرف بها حتى لينسب إليها فيقال : كثيّر عزة،وجميل بثينة،وقيس لبنى، ومجنون ليلى "٣ . غير أن يوسف بكار يوضح أنه يشتمل على الناحية الحسية وذلك بقوله :"هو شعر يتصف بوضوح الحب،والألم والإخلاص،وصدق العواطف ونُبلها،ويتوفر أحيانا على إشارات مادية "(٤) .

---

٢٥) تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي ، د شوقي ضيف ، ص ٣٩٥ .

٢٦) الحب العذري عند العرب، د.شوقي ضيف ، ص٢٠-٢١.

(٢٧) في الشعر الإسلامي والأموي ،د.عبد القادر القط، ط(بيروت:دار النهضة الأدبية،١٩٨٧م) ص٧٣.

(٢٨) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري،د.يوسف بكّار، ص٥٥.

ويختلف صادق جلال العظم عمن سبقوه في بيان الحبّ العذري من خلال تركيزه على الجانب النفسي وذلك بقوله :"هو اختيار نزعة الاشتداد في الحب عن طريق رفض العلاقات العاطفية الدائمة المستقرة بين العاشقين خوفاً من أن يؤدي الرباط المقدّس إلى اضمحلال في العشق.وما دام العاشق طالبا باحثا،فعشقه دائم، وما دام يترجّح بين اللقاء والفراق،فانّ حبه متصاعد في اشتداده،في حدة انفعاله"(١) .

يتبين من التعريفات السابقة أنّ الباحثين والدارسين لم يتوصلوا إلى تعريف موحد للغزل العذري . فطه حسين وزكي مبارك وشكري فيصل وشوقي ضيف ويوسف خليف ومحمد غنيمي هلال وعبد القادر القط يؤكدون على أنّه حب طاهر عفيف فيه سمو روحي يتحقق من خلاله متعة الروح لا متعة الجسد ،بعيد عن الدّنس ،لا تدفع إليه الغرائز ،صادق في عاطفته،مقرون باللوعة والفشل والحرمان أما أحمد الحوفي وصادق جلال العظم ويوسف بكّار يبينون أنّه ليس خالص الروحانية بحيث لا يخلو من الشوائب الجسدية الحسية وذلك إعجابا بجمال المرأة الجسدي،وهذا ما ينفي أن يكون هذا الغزل خالص النقاء والطهارة والعفة بل تشوبه بعض الشوائب التي تعطل

(٢٩) في الحب والحب العذري، د.صادق جلال العظم ، ط١(بيروت :منشورات نزار قباني ،١٩٦٨م) ٧٧ .

صفو هذا النقاء والطهر الذي جاء عند الباحثين السابقين وبالتالي فهو غزل يجمع بين العفة والنقاء والطهر وفيه بعض الإشارات المادية والحسية والشهوانية .

إن تعدد التعريفات لمفهوم العذرية يمثل عائقا أمام دراسة هذه الظاهرة ؛ لان الباحث يتيه في كثرة التحديدات فيكون مفهوم العذرية شائكا وهذا ما يطرح إشكالية لأنهم في خيرة مفهوميه لتحديد الظاهرة العذرية .

تشترك التعريفات التي وضعها الباحثون والدارسون للغزل العذري في تحديد صفات لهذا النوع من الغزل ،وهذه الصفات تشكل البنية الداخلية للغزل العذري ،فهي المكونات العميقة لهذا الغزل وهي:

١-المثالية، فهو الأنموذج الأعلى لصورة الحب المثالي، لأنه يحتوي على قيم خلقية عالية،كالعفاف والنقاء ،والطهر ، وقد صور الشعراء ذلك في أشعارهم مبينين أن علاقتهم مع محبوباتهم كانت عفيفة لا تشوبها شائبة تدنسها ، فجميل يقضي ليلة عفيفة مع محبوبته لا يخالطها منكر وقد عبر عن ذلك بقوله :[١] :

وكانَ التفرُّقُ عندَ الصّباحِ عن مِثْلِ رائِحَةِ العَنْبرِ

خَليلان ، لم يَقرُبا ريبَةً ولم يُسْتَخفّا إلى مُنْكَرِ .

وقد فرضت عليهم العفة والطهر حرمانا قاسيا ، زادت من حدته العقبات التي يفرضها المجتمع إلا أنهم بقوا أوفياء لحبهم ، وقد

[١]) انظر ديوان جميل بثينة ، ص ١٠٩ .

زادهم هذا الحرمان تمسكا بمن يحبون ، وعبر جميل عن هذا الحرمان الذي فرضته العفة على العذريين بقوله[1] :

وإنّي لأَرضى ، مِنْ بُثَيْنَةَ ، بالذي لوَ أَبصَرهُ الواشي ، لقرّتْ بلابلُهْ

بلا ، وبألّا أستطيعَ ، وبالمُنى وبالوعدِ يسأم الوعدَ أملُهْ

وبالنّظرةِ العُجلى ، وبالحَوْلِ تنقضي أَواخِرهُ ، لا نلتقي ، وأَوَائِلُهْ .

وعبر قيس بن ذريح عن هذا الحرمان الذي فرضته العفة في نفسه وكيف اقنع نفسه به وتشبث بآمال لا تتحقق أبدا وذلك بقوله[2] :

إن تك لبنى قد أتى دون قربها حجاب منيع ما إليه سبيل

فان نسيم الليل يجمع بيننا ونبصر قرن الشمس حين تزول

وأرواحنا بالليل في الحي تلتقي ونعلم أنا بالنهار نقيل

وقد عبرتليلى عن هذه العفة التي تملأ قلبها ، وما يواكبها من طهر وعفاف ، فبينت أن العفة أساس الحب العذري و ذلك بقولها[3] :

وذي حاجة قلنا له : لا تبح بها فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وآنت لأخرى صاحب وخليل .

---

[1])انظر المرجع نفسه ، ص٨٨ .

[2])انظر ديوان قيس بن ذريح

[3])انظر الأغاني ، ج١١ ،ص ١٩٥ .

غير أن هذه المثالية بما فيها من عفة وطهر ونقاء لا تنطبق بشكل كبير على الحب العذري فالعفة التي هي أساس العذرية وجذرها الرئيس – كما أجمع عليها الباحثون والدارسون – لم تكنْ عفة نقية تخلو من الجوانب الحسية بل إن المتتبع للشعر العذري أو قصة الحب العذري يجد خلافا لذلك فطالما صرح الشعراء العذريون في شعرهم بالجوانب الحسية وفي ذلك يقول جميل ([1]) :

فيا ليتَ شِعري هلْ أَبيتنّ ليلةً كليلَتِنَا ، حتى نَرى سَاطِعَ الفجرِ ؟

تجودُ علينا بالحديث وتارةً تجودُ علينا بالرُّضابِ من الثِّغر .

ويقول أيضا [2] :

وإِنِّي لمشتاقٌ إلى ريحِ جيبها كما اشتاقَ إِدريسٌ إلى جنَّةِ الخُلدِ .

(34)ديوان جميل بثينة ، ص٢٤ .

[2])المرجع نفسه ، ٢٠

وفي سيرة العشاق العذريين الحديث عن قضاء العاشق ليلة مع معشوقته ([1]) ، ويبقى معها في خلوة حتى الصباح ، فأي عفة هذه التي يتحدث عنها النقاد ؟ وهل مثل هذا الاختلاء يوصف بالعفة ؟ فالعفة في الحب العذري ربما تكون عدم اقتراف المنكر (الزنا) أما غير ذلك فلعله كان مباحا بين العاشقين وهذا ما يؤكده جواب وارد على لسان رجل عذري حيث قيل له ، ما تعدون العشق فيكم ؟ ، قال القبلة والضمة والغمزة ، وإذا نكح الحب فسد ([2]). وجواب العذري يبين أن الاتصال الحسي بين العشاق كان موجودا بل ربما كان مسموحا به في مثل هذا النوع من الحب ،ثم إن المثالية التي أشار إليها الدارسون تتهاوى أمام ما كان يتم بين العاشقين من لقاءات وخلوات في الحب العذري ، وهذا ينفي العفاف المطلق بين العاشقين إلا إذا فهم على أنه الابتعاد عن الاتصال الجسدي الكامل بين العاشقين ([3]) ، وهذا ما كان يرفضه العاشق لأنه يقتل الحب ويقضي عليه . غير أن وثن التعفف لم يصمد أمام نوع مقتحم من الحب العذري وذلك عندما أصر قيس بن ذريح الزواج من لبنى

(36) للمزيد من التفاصيل عن اختلاء العشاق ببعضهم ليلا ، انظر الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت ٢٩٦ هـ) ، خمسة وعشرون جزءا ط (بيروت: دار الثقافة ،١٩٦٣م) مج ٨، ص ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٦ .

(37) انظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية(ت ٧٥١هـ) ط١ (بيروت ، دار الخير للطباعة والنشر : ١٩٩٦م) ص ٣٢٨.

(38) يذهب الطاهر لبيب إلى أن هذا مأخوذ من عادة جاهلية تبيح للعاشق النصف الأعلى من الجسد ويحرم عليه الجزء الأسفل . انظر سوسيولوجيا الغزل العذري ، الطاهر لبيب ، ترجمة مصطفى المسناوي ، ط٢ (الدار البيضاء : دار الطليعة ، ١٩٨٨م) ، ص ١٢٣ و١٢٤ .

بنت كعب الحبابيّة فاقترن بها وتلاحم معها غير أن أباه أجبره على تطليقها لأنها عاقر ([1]).

٢-الصدق،فهو يعبر عن عاطفة صادقة تنبع من الطرفين العاشق والمعشوق ، فكل منهما لا يرى غير صاحبه ويتماهى في حبه ويرفض التخلي عنه تحت أي ظرف فالحب قد تمكن من قلوبهم فعبر عنه بصدق حتى لا يرى غير محبوبته ، فالتعلق بامرأة واحدة والإخلاص لها من سمات الحب العذري فهو لا يبحث عن بديل لها وقد صور جميل هذا الحب الصادق لبينة وإخلاصه لها حتى انه صرفه عن غيرها من الفتيات مهما تعرض للإغراء من غيرها من الفتيات ، وذلك بقوله [٢] :

أَبثينَ ، إنكِ قد ملكتِ فأسجحي وخذي بحظك من كريم واصلِ

فلرب عارضة علينا وصلها بالجد تخلطه بقول الهازل

فأجبتها بالقول بعد تستر حبي بثينة عن وصالك شاغلي

(39) انظر الخبر في الأغاني ،ج٩،ص ١٨١ .

[٢])ديوان جميل بثينة ، ص ٥٤ .

ونقرأ في قصصهم إهدار دم العاشق من قبل الحاكم ولكن هذا لا يثنيه عن زيارة صاحبه ،ويبقى العاشقان حريصين على الحفاظ على هذه العلاقة حتى يفرقهما الموت ،" فيودع العاشق حياته على أمل في أن يجمع الله بينه وبين صاحبته بعد الموت "[١]. يقول عروة بن حزام [٢] :

ألا ليتنا نحيا جميعا ، وان نمت يواف ضريحي في الممات ضريحها

فما أنا في طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها .

إن الصدق الذي ألح عليه الدارسون كسمة من سمات الحب العذري لا يصدق على كافة الحكايات العذرية وهناك في سيرة العشاق ما ينافي هذه الصفة ، فقد بين الرواة أن كثير عزة كان متكلفا في حبّ عزة ، وأورد أبو الفرج الأصفهاني([٣]) مواقف له تبين انه كان غير صادق في حبه لها ، وأنّه كان يدّعي ذلك .

---

[١])في الشعر الأموي – دراسة في البيئات ، د يوسف خليف ، ط (القاهرة : مكتبة غريب ،١٩٩١م) ، ص ١٩٤ .

[٢])انظر الاغاني ، ج ٢٣ ، ص ٣١١ .

(43) ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن عزة كانت تشك في حب كثير لها ، فطلبت من بثينة أن تتخفى وتمشي أمامه وتطمعه في نفسها ، فتبعا واخذ يتغزل بها ، فأسفرت عن وجهها فصعق واخذ يستحلفها أن لا تذكر ذلك لعزة ، وهناك انظر الأغاني ، الأصفهاني ، ج٩ ، ص٣١، وانظر الخبر نفسه طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط (القاهرة : مطبعة المدني ، د . ت) ، ج٢ ، ص٥٤٥' وتاريخ دمشق ، لابن عساكر علي بن الحسني بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ) تحقيق عمر بن غرامة العمروي ، ط١ (بيروت : دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ، د . ت) ، ج٥٠ ، ص٨١.

ويورد كذلك عشق كثير لامرأة من خزاعة ([1])، وقد أورد الرواة في قصة وضاح اليمن افتتانه بامرأتين الأولى اسمها روضة ، والثانية أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك ، مما يدل على عدم صدقه في غزله كونه من أصحاب الغزل العذري

فكيف يحب امرأتين ([2]) ؟ أما في قصة جميل فقد ذكر الرواة عشق بثينة لحجنة الهلالي ([3]) .

(44) انظر الأغاني ، لأصفهاني ' ج٩ ، ص٣٣ .

(45) انظر الأغاني ، الأصفهاني ، ج٦ ، ص١٩٨_٢٢٧ .

(46) انظر الأغاني ، الأصفهاني ، ج٨ ص١٠٦ .

٣- العنف تتصف علاقة الحب العذري بالعاطفة القوية المتوهجة،التي لا تهدأ،وتبقى هذه العاطفة في ازدياد حتى تستولي على حواس المحب وقدراته وقد جاءت الصورة الشعرية " ذات تأثير نفسي بما تحويه من دفقات انفعالية تتلاءم مع السياق العاطفي العام للقصيدة "([1]) ،ولذا يعمل كلاهما من أجل المحافظة على هذا التوهج العاطفي فيرفضان كل شيء يقلل منه ولذلك يضعان العراقيل أمام فكرة الزواج لان الزواج يقلل من وهج التأزم العاطفي ،فهو موت لهذه العلاقة يطفئ وهج الوجد والهيام ، وكذلك نجد إصرار العاشق على التقرب من الحبيبة لا يثنيه إهدار دمه وكأنه يُصرُّ على تعذيب نفسه لأنه ربما يجد سعادة في الألم الناتج عن البعد عنها.فالحب العذري عنيف جارح قاهر ، ومع ذلك فالعذري يحتضنه ويذوب فيه ، لأنه يجعله يحيا فعلا ، فيستحي العذاب نتيجة لعقبات اجتماعية توضع أمامه لا يمكن تخطيها ، فيمنع من الاقتران بمحبوبته والزواج منها غير أن هذه العقبات تكون مفتعلة وهي من صنع العاشق نفسه والأمر المحير فعلا أنّنا لا نجد إصرارا على فكرة الزواج أو طرحها من قبل المعشوقات أيضا ، ولعل البعد يكون من أجل استمرار شيطان الشعر الذي يقتله الزواج ؟ قياسا على قاعدة العذريين في الحب أن الحب إذا نكح فسد .

[1])الغزل العذري في العصر الأموي _ دراسة فنية ، د. احمد حسن صبرة ط ، الإسكندرية ، الصديقان للنشر والإعلان ، د. ت .

يتبين من خلال التعريفات والمفاهيم السابقة للظاهرة العذرية أنها تعريفات مائعة شكلت الكثير من الالتباس في مفهوم الغزل العذري ، ولعلّ السبب يعود في ذلك إلى أن الحب العذري ظاهرة محيرة حيرت الباحثين والدارسين للوقوف الحقيقي على خصائصها ومميزاتها .

ثالثا- إشكالية التفسير:

يعد تفسير الظاهرة من أكبر الإشكالات التي واجهت دارس الغزل في العصر الأموي، فتفسيرها قضية العذرية هامة وحيوية وذلك لبيان أسباب شيوعها وازدهارها في تلك الفترة الهامة من تاريخ الحضارة العربية ، وقد ذهب النقاد والباحثون في ذلك مذاهب متعددة وتناولوها بالدراسة والتحليل محاولين الكشف عن جوانبها المختلفة وتجلية إبعادها ، ونظروا إليها من زوايا متعددة واتجاهات مختلفة ، فتعددت الآراء والأفكار حولها فاختلفت التفسيرات وكل منها يمثل وجهة نظر صاحبها وذلك ،لان الظاهرة العذرية من الظواهر المفتوحة والمتعددة القراءات التي تحتمل أكثر من قراءة وأكثر من تفسير ، وقد تباينت هذه التفسيرات إلى حد التناقض في بعض الأحيان وهذا يدل على عمق الظاهرة وأشكلتها عن إيجاد تفسير محدد لها يكشف النقاب عن جميع جوانبها المختلفة الأمر الذي جعل بعض النقاد الحدثين([1]) يجمع بين عدة تفاسير لتوضيحها، وقد جمعت أشهر هذه التفسيرات من مصادرها المختلفة عند النقاد المحدثين فوجدتها محصورة في الاتجاهات التالية :

(48) انظر في الشعر الإسلامي والأموي ، د عبد القادر القط ، ص٥٧ وما بعدها .

١- التفسير التاريخي .
٢- التفسير الديني .
٣- التفسير الاجتماعي .
٤- التفسير الفني .
٥- التفسير النفسي .
٦- التفسير البنيوي التكويني.
٧- التفسير الأسطوري .

وتجدر الإشارة إلى وجود تداخل بين بعض التفسيرات خاصة الديني والتاريخي الذي يحتوي الأبعاد السياسية والحضارية، وستقوم الدراسة برصد هذه التفسيرات المختلفة وتقويمها مبينة التناقض فيها ، وتوضيح ما يحتاج من توضيح ولذلك لبيان ما أشكل منها بشكل كبير .

١- التفسير التاريخي:

يُعدُّ التفسير التاريخي من المرجعيات الأساسية التي لا غنى عنها في دراسة الظاهرة العذرية ، ولعل قراءة طه حسين للظاهرة كانت رائدة في هذا المجال ؛ إذ ارجع أسباب انتشار ظاهرة الحب العذري وما نتج عنها من شعر غزلي وما حيك حوله متن قصة إلى العوامل التاريخية التي حدث في العصر الأموي فبين أن الغزل العذري بنوعيه الحسي والعذري انتشر في الحجاز نتيجة للسياسة التي اتبعتها الدولة الأموية تجاه الحجازيين في مدنهم وبواديهم وما تبع ذلك من تطورات في الحياة الاجتماعية والمادية ، فلما حرمت الحجاز من المشاركة في الحياة السياسية وانتقل مركز الحكم منها إلى الشام وعاملتها الدولة الأموية بقسوة أحست بالحزن فانكبت على وجهها ، ونظرا لان المدينة ومكة كانتا

غارقتين في الغنى والثراء الممنوح لهما من الأمويين ، فقد أنتج ذلك مع اليأس اللهو والإسراف فظهر فيها عمر بن أبي ربيعة ومن هم على شاكلته ، وأما البادية فصاحب اليأس عند أهلها الفقر فلم يتاح لهم اللهو ، وقد تأثروا بالإسلام فانتشرت عندهم ظاهرة الزهد وانصرفوا إلى شي من المثل الأعلى في الحياة الخلقية وشعر الغزل العفيف يمثل طموح أهل البادية إلى المثل الأعلى في الحب من جهة ، ولبراءتها من ألوان الفساد التي كانت تعمر المدينة من جهة أخرى ([1]).

إن الفقر كان سببا في حرمان بعض العشاق من محبوباتهم ، ومنعهم من الوصول إلى مبتغاهم مع وجود صلة القرابة بينهم[2] ، وقد عبر عن ذلك عروة بن حزام بقوله [3]

يكلفني عمي ثمانين ناقةً ومالي يا عفراءُ غير ثماني

تحملتُ زفراتِ الضحى فأطقتُها ومال بزفراتِ العشيّ يدانِ

(٤٩) انظر حديث الأربعاء، طه حسين ، ج ص١٨٨ – ١٩٠ يتابع طه حسين أستاذه كارلو نالينو الذي بين أن ازدهار الغزل كان أثرا من أثار السياسة التي اتبعتها الدولة الأموية تجاه الحجازيين في المدن والبادية ويشير إلى الأحداث التي أثرت على سير الأدب في تلك الفترة ويقسمها إلى تسعة أصناف من بينها النسيب عند الأعراب والغزل عند أهل المدن . انظر تاريخ الآداب العربية ، ص ١٠١ وما بعدها .

[2])انظر اشعر والمال ، د مبروك المناعي ،ط١ (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٨م) ص ١٤١ .

[3])انظر الأغاني ، ج٢٣ ، ٣٧٠ .

أن الفقير لا يمكن أن يتسلى بالحب ومن الأولى أن يفكر بالحاجات الأساسية قبل تفكيره بذلك لذلك كان الجاحظ محقا عندما قال إن الفقير المدقع مشغول عن الحب ، ثم إن أهل البادية لم يكونوا فقراء ، فالإسلام أكسبهم ثروات كثيرة يضاف إلى ذلك أن طه حسين أغفل الجانب الإنساني بمعنى أن الغزل بما هو ظاهرة إنسانية طبيعية فطرية بعيدة كل البعد عن القراءات التاريخية وكذلك ألغى الفرد وتجربته الذاتية مبينا أن الأثر الفني لا علاقة له بنفس المبدع، وجعله آلة توجه كما يريدها المجتمع وعليه يكون الظاهرة الأدبية ثمرة طبيعية لقوانين اجتماعية جبرية والعمل الأدبي أشبه ما يكون بالوثيقة التاريخية ورد فعل لا يستطيع الأديب رده فالإنسان "جزء من حركة التاريخ ،وحركة التاريخ حركة جبرية ليس للاختيار فيها مكان " ([1]) وبدلا أن يتوجه طه حسين إلى النص توجه إلى ما حوله من مؤثرات . وإلا كيف يفسر ظهور هذا النوع من الغزل في العصر الجاهلي ؟ فالغزل ظاهرة إنسانية يتجاوز المكان والزمان ولا يقتصر على عصر معين دون غيره . ويتابع كثير من الباحثين طه حسين في هذا الرأي دون أي زيادات جديرة بالذكر([2]).

---

(٥٢) المرايا المتجاورة ، جابر عصفور ، ط (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠م) ، ص ٧٠ .

(٥٣) انظر تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان ،ط (القاهرة ' دار الهلال '١٩٥٢م) ج١، ص٢٦٧ .، تاريخ الأدب العربي ،كارل بروكلمان نقله إلى العربية د. عبد الحليم النجار ، ط (القاهرة : دار المعارف، د، ت) ،ص ١٨٧–١٨٨ .كتاب جميل بثينة ،عباس محمود العقاد ، ، ط٣(القاهرة :دار المعرف ، سلسلة اقرأ ، د. ت) ص٩ . وكتاب جميل بثينة والحب العذري،خريستو نجم = =،ط (بيروت :

ويشير عبد القادر القط ([1]) إلى التطور الحضاري الذي طرأ على عرب الجزيرة وأثره في نشأة الغزل فقد وازن بين حياة العرب قبل الإسلام وبعده مبينا إن حياتهم لم تتغير من الناحية المادية ، بل ظلوا يخضعون لقوانين البداوة ويقاسون خشونتها ، أمّا حياتهم العقلية والمعنوية فقد تغيرت تغيرا شديدا مما عادى إلى نشوء اليأس من الحياة المادية تبعه شيء من الأمل في حياة أخرى ومن اليأس والأمل تكون لديهم مزاج خاص فانكبوا على أنفسهم لتعرفوا دواخلها وأسرارها فنشأ عندهم حزن سببه اليأس والفقر والحياة السياسية ، ثم يقارن بين ما حصل للشعراء و الكتاب الفرنسيين نتيجة للثورة الصناعية ، وما أحدثه الإسلام في نفوس الشعراء العذريين ويبن إن الشبه شديد بينهما وأن الانقلاب الحضاري الذي حصل للعرب بعد الإسلام جعل الإنسان العربي متذبذبا بين القديم والجديد ، ويرى إن الشعور بالغربة أو الحنين من الرموز الصالحة للتعبير عن الصراع النفسي من خلال تجربة الحب العذري .

٢- التفسير الديني :

يرجع شكري الفيصل نشأة الظاهرة العذرية إلى الإسلام وأثره في الأوضاع الاجتماعية الجديدة التي سادت المجتمع العربي آنذاك ، حيث ظهر جيل تربى على الإسلام تربية صارمة

دار الرائد العربي ، د. ت)، ص ٢٠-٤١.والحياة العاطفية بين العذرية والصوفية، محمد غنيمي هلال ، ط٢ (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠م)ص ١٦ وما بعدها .والغزل العذري :دراسة في الحب المقموع ، يوسف اليوسف ، ط٢ (بيروت : دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م) ص ١٠ .

(٥٤) انظر في الشعر الإسلامي والأموي ، د عبد القادر القط ،ص١٠٤- ١٠٧ .

ونشا على العفة فتعالى على الشهوات وكبح جماح النفس الأمارة بالسوء ، فالغزل العذري تعبير عن وضع طائفة من المؤمنين كانت تتحرج وتذهب مذهب التقى ، فأثرت أن تعدل عن شهواتها فكانت مثالا للتربية الإسلامية في سموها وتعاليها(١).

ويرى أن الحب العذري نشأ عن التقاء عنصرين هما : العاطفة الدينية والميول الجنسية في نفس المؤمن الذي حسن إيمانه وقوي يقينه ، فالإسلام زرع نزعة العفة في نفس المؤمن لتقف إلى جانب نزعة الحب ، ومن العفة التي يواكبها الدين ومن الحب الذي تواكبه الغريزة نشا الحب العذري ، وكان للمؤمنين الذين أخفقوا في حبهم أن يعبروا عن هذا الإخفاق فوجدوا هذا الفن القولي سبيلا للتعبير عن مشاعرهم ([٢]).
وهذا التفسير مكمل للتفسير الذي قدمه طه حسين غير أن شكري فيصل يضيف إلى أثر العاطفة الدينية بشكل كبير لكن طه حسين لم يعطيها إلّا دورا ضعيفا مقارنة بالعوامل الأخرى.
ويذهب إلى هذا الرأي كل من شوقي ضيف([٣])،محمد غنيمي هلال ([٤]) ، وعاطف جودة نصر([٥]) الذي ركز على العامل الديني في تفسير الغزل العذري وتطوره إلى الغزل الصوفي فالحب

---

(٥٥) انظر تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، د.شكري فيصل ، ص ٢٨٠ .

(٥٦) انظر تطور الغزل ص ٢٨٧ .

(٥٧) انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي ، د شوقي ضيف ، ط٢ (القاهرة : دار المعارف ، ص١١٥ . وانظر تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي ، ص ١٧٦– ١٧٧. وانظر الحب العذري عند العرب ، ص ٢٠ .

(٥٨) انظر الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، د محمد غنيمي هلال ، ص ١٣. وانظر النقد الأدبي الحديث، ص ١٩٤– ٢٠٠ .

(٥٩) انظر النص الشعري ومشكلات التفسير ، د. عاطف جودة نصر ، ط١ (القاهرة : الشركة العالمية للنشر _ لونجمان ، ١٩٩٦م) ، ص ١٣١ .

العذري مرحلة من مراحل التصوف ، فالصفات التي الصوفيين والعذريين واحدة ، من حيث العاطفة الملتهبة أبدا ، والاندماج بالطبيعة ، والحيرة والقلق والحزن والبكاء المتواصل ، تتبعها شهقات مفاجئة وإغماء[1] .

وقد أدرك الصوفيون معاناة أجدادهم العذريين إدراكا تاما ، فعبر عمر بن الفارض إمام الصوفية في قصيدته التائية المشهورة بقوله[2] :

وما بَرَحتْ تبدو وتخفى لِعلَّةٍ على حسبِ الأوقاتِ في كل حقبةِ

ففي مرةٍ لبنى وأخرى بثينةً وآونةً تدعى بعـــــزةَ عزةِ

ولسنَ سِواها لا ولا كنَّ غيرها وما إن لها في حُسنها من شريكةِ

لا أوافق شكري الفيصل على ما ذهب إليه من ربطه المباشر بين الإسلام ونشوء الغزل العذري ؛ إذ لا ننكر أثر الإسلام في تهذيب النفوس عند أهل البادية بشكل كبير وحملها على العفة ولكن لا يمكن أن يكون هذا الأثر سببا مباشرا لنشوء مثل هذه الظاهرة بل إن الكثير مما يعتري هذه الظاهرة يتناقض مع ما جاء به الإسلام من مثل إشهار التشبيب بالمحبوبة ، وتعذيب النفس من اجلها ، والارتقاء بالمحبوبة إلى درجة التقديس .

---

[1])انظر العذريون والتصوف ، إحسان الملائكة ، مجلة الآداب ، العدد (٣) ، فبراير ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٣ .

[2])انظر: ديوان ابن الفارض عمر بن ابي الحسن الحموي ت _ ٦٣٢هـ، ط(بيروت : دار صادر ، ١٩٦٢ م) ، ص ٧٠ .

٣- التفسير الاجتماعي :

.يبين عبد القادر القط ([١])اثر المجتمع والتقاليد الاجتماعية الصارمة في نشوء الظاهرة العذرية ، فأهل المحبوبة بعد انتشار أمر عشقها يقومون بمنع العاشق من محبوبته وعدم تزويجه إياها، فيحصل مواجهة بين الشاعر وأهلها إذا يجد في هذه المواجهة متعة ممتدة في فنه الغزلي وان راح ضحية ذلك في نهاية الأمر ، ويشير إلى دلالات ورموز مشتركة بين الشعراء مثل اليأس ، الظمأ واشتهاء الري ، وغيرها .

إن للمجتمع تقاليده وقيوده الصارمة التي تحكمه ولكن المنع الذي أشار إليه القط يحتاج إلى وقفة لبيان مدى صحته للتأكد أن مثل هذا الشعر كان يجلب العار .

وقد أشار بعض الباحثين من قبل إلى اثر البيئة في نشوء الظاهرة فالعقاد([٢]) يبن أن الغزل في البادية عوضا عن الأنواع الممنوعة من الأحاديث بين الرجل والمرأة في المدينة العامرة ،في حين أن محمد غنيمي هلال([٣]) يبين إن البيئة مهد الغزل بما تحويه من مناظر جميلة تدفع إلى تنمية روح الفروسية عند الفرد وهي فروسية ظهرت أثارها في عاطفته وحبه .

ويناقش الدكتور محمد حسن عبد الله أثر المجتمع في تفسير الظاهرة العذرية، ويعتمد في ذلك على (القرابة والحداثة) بين

---

(٦٢) انظر في الشعر الإسلامي والأموي ، عبد القادر القط ،ص ٩٥ وما بعدها .

(٦٣) انظر جميل بثينة ، عباس محمود العقاد ، ص ١٧ و١٨ .

(٦٤) انظر الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ،ص١٦ –١٨ .

المحب والمحبوب ويبيّن الباحث أن العشاق العذريين هم أقارب ينتمون إلى نسب واحد، فإما أن يكونوا أبناء عم، أو ينتمون إلى جد واحدٍ أو قبيلة واحدة، المهم في الأمر أن صلة القرابة واضحة في سير العشاق العذريين، يضاف إلى ذلك أن هذا الحب يتم في سن حديثة مبكرة. وفي ذلك يقول قيس بن الملوح [١] :

تعلقت ليلى وهي ذات ذؤابة ولم يبدو للأتراب من ثديها حجم

صغيرين نرعى البهم يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

إن كلاً من الفتى والفتاة كان بالنسبة لصاحبه (الحب الأول) وذلك لارتباطهما بوحدة النشأة ومراحل الصبا المبكر، إن لم يكن بالطفولة، وهذا النوع من الحب لا يزال يقتحم حياتنا إلى اليوم في إطار رومانسي لا يكاد يغيره، حتى في مجتمعاتنا المتحضرة ذات العلاقات المعقدة والقيم المضطربة، لا تزال قصص الحب الأول تتبرعم وتنشأ في الطريق إلى المدرسة، وفي شرفة النادي، وأثناء رحلة جماعية، وفي ظل الزيارات العائلية، تنشأ في نجوة من رقابة (الكبار) وتأخذ مداها الروحي والنفسي من مشاعر العاشقين الصغيرين، وتتحرك الأقلام تناجي المحبوب في طلعة القمر وأوراق الورد وخضرة التلال، ولو أن قوة الموهبة والبناء الثقافي للفتى

[١])انظر ديوان قيس بن الملوح ،

العصري يماثل ما كان عند الفتى في العصور القديمة لوجدنا في كل مرحلة أشباهاً ونظراء لقيس وجميل وغيرهما([1]) .

إن (الحب الأول) لا يتحول إلى زواج إلا نادراً، لأنه حب بريء يتعبد في محراب العاطفة وحدها، ويجعلها المقياس الوحيد للحكم على الناس والأفعال، ولهذا يجد معارضة من القوم الناضجين، لا ينكرون الحب أو يعادونه ولكنهم لا يعتبرونه مقياساً وحيداً، ويلام الفتى على ذلك، وهذا اللوم يزيده إصرارا على التمسك بموقفه، ويسم جميع من حوله بميسم العجز عن فهمه.([2])

ويشير إلى الثروة باعتبارها عاملا يؤدي إلى قمع هذا الحب وفشله موضحا ان ناهل الفتى غالبا يكونوا أكثر ثراء فالمجنون وقيس بن ذريح وجميل بن عبد الله أثرياء وهذا يعني تدخل عامل الثروة لإعاقة النسب وفشل العلاقة بين المبين.([3])

ويشير بعض الباحثين إلى عامل الثروة ولكن من جانب أخر فيوضح أنأهل الفتاة _ من قبيلة عذرة _ كانوا يسعون إلى تزويج بناتهم من رجال أثرياء خارج القبيلة ليعوضوا من فاتهم من أموال حصل عليها غيرهم من الفتوحات الإسلامية وتذرعون بذلك برفضهم لأبناء عمومتهم بحجة الحمية للكرامة والتذرع بان أمر

---

(٦٦) انظر الحب في التراث العربي ، محمد حسن عبد الله ، ط (الكويت : عالم المعرفة ١٩٨٠م) ، ص٢٣٧ .

(٦٧) انظر المرجع نفسه ،٣٣٨ .

(٦٨) انظر المرجع نفسه ، ٣٣٥ .

المحب افتضح بين الناش ، فيرفضون القريب ويزوجونها للبعيد للحصول على جانب من المال ([1]).

إن ما يذهب إليه بعض الباحثين في جعل عامل الثروة (المال) هو السبب الرئيسي في بروز الظاهرة ينافي ما جاء في سيرة بعض العشاق العذريين ؛ إذ كان بعضهم من أصحاب الثروات ، ولو كانت الثروة هي السبب في شيوع الظاهرة العذرية ، فلماذا يرفض آهل المعشوقة تزويج هؤلاء الأثرياء من بناتهم ؟ لا أرى أن السبب الرئيس يكمن في هذا الأمر والدليل على ذلك أن قيس بن الملوح وجميل كانوا من أبناء الأثرياء ومنعوا من الزواج ممن يعشقون ، فهذا العامل لا يقنع في تفسير الظاهرة وبروزها .

٤- التفسير الفني:

يقدم إبراهيم السنجلاوي تفسيرا فنيا ينطلق فيه من العلاقة القائمة بين الحب والفن فيقول :" هؤلاء العشاق لم يكونوا عشاقا . وإنما كانوا فنانين والفنان يختلف اختلافا كبيرا عن العاشق فحسب "([2]) ، ويبين أن العشق يلتهم الأنا ، وينقض على ذات الفنان ، حتى يجرده من الفن ويقضي عليه ، لذلك يجب أن توجد مسافة بين العاشق وحبه ، لأنها تكون بمثابة صمام الأمان . بحيث لا يطغى الحب على الفن ، لأنه إذا طغى عليه افقد الفنان الشعور بذاته ، وهو الذي يتيح له رؤية موضوعه بوضوح ، والقدرة على

(٦٩) انظر الشعر الأموي بين الفن والسلطان ، عبد المجيد حسين زراقط ، ط١ (بيروت : دار الباحث للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م) ، ص ١٧٠ –١٧٥ .

(٧٠) انظر الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي ، إبراهيم موسى سنجلاوي ، ط١ (عمان : مكتبة عمان ، ١٩٨٥م) ص ٢٦

التعبير عنه ، ولكن هذه المسافة الموجودة بين الحب والفن لا تعني التنافر والخصومة بقدر ما تعني التعاون ([1]) ، لذلك نرى العشاق دائبين في الحرص على إبقاء حبهم مشتعلا متوهجا ويضعون العراقيل الكثيرة أمام أي امتلاك للمحبوب ، بل إن مسلكهم لا يؤدي إلى امتلاك المحبوبة منذ البداية ، فالشاعر بإمكانه أن يمتنع عن قول الشعر الذي يمنع هذا الامتلاك - لو أراد امتلاك محبوبته- ولكنه يقصد هذا العمل قصدا ، ومن هنا نفهم أن مطالب الفن تغري العاشق بالابتعاد عن محبوبته حتى تكون أكثر إثارة وليبقى جدول الحب يمد الفن ويثريه ([2]) .

ثم يقول: " ما بين الحب والفن من ارتباط صنع لنا هذا اللون من الحب القائم على الحرمان ، لا على الإشباع نفسه ، لان الإشباع يقطع تيار التجربة ويخمد أنفاس الحب " ([3]) .

ويبين السنجلاوي ((أن الباحث في أخبار العذريين يرى كيف يصطنع العشاق الحواجز التي تحول دون الإشباع أو الامتلاك، وهو يعرف تماماً أن بقاء هذا الحب يرتبط ببقاء هذه الحوائل التي تمنع من الإشباع، وهي حوائل تمثل مطالب الفن

([71]) انظر المرجع نفسه ، ص ٢٧ .

([72]) انظر المرجع نفسه ، ص٢٩ .

(٧٣) انظر المرجع نفسه ، ص ٢٨ .

التي تدعو إلى استمرار التجربة وإن كان العاشق في كثير من الأحيان يحن إلى العيش المنزلي والهدوء والاستقرار)) [١].

وقد ورد على لسان الشعراء ما يبين هذا الآمر يقول قيس بن الملوح[٢] :

إذا ما قَرضت الشِّعر في غيرِ ذِكرها أَبى وأبيكم أنْ يُطاوعَني شِعْري

ويقول جميل[٣]:

يموتُ الهوى منى إذا ما لقيتُها ويحيا أذا فارقتُها فيعودُ

إن عدم الإشباع هو حافز للفنان كي يستمر في فنه فقرب العاشق من معشوقته يؤدي إلى موت الهوى وإخماد أنفاس الشعر والبعد عنها يؤدي إلى تحفيزه على قول الشعر، لأنه لو بلغ إلى درجة الإشباع من محبوبته لتوقف هذا الحافز عن إمداد الشاعر بالهامة الشعري، فمن الأولى أن يبقى في حالة حرمان من الإشباع ليبقى الملهم الشعري متوقداً في نفس الفنان وبالتالي يستطيع إنتاج

([١]) إبراهيم موسى سنجلاوي، الحب والموت في شعر الشعراء العذريين، ص ٣٢.

[٢]) انظر الأغاني ، ج٢ ، ص ٢١ .

[٣])انظر ديوان جميل بثينة ، ص١٧ .

الفن، لأن الظفر بالمعشوق – كما يرى الجاحظ [١] – يسرع في حل العشق.

وهكذا فإن تجربة الحب ملائمة للفن؛ لأنها تمده بالثراء، وعلى هذا يرتبط الفن بهذا اللون من الحب، وكأن الحب يعيش على الوعد والأمل، الذي لا يتم الوفاء به، فتجربة الحب ترتبط بالتوتر الناتج عن الحرمان وعدم تحقيق الوعد، وهذا ملائم لإنتاج الفن، ولذلك يكون إخلاص المحبين إخلاصاً للفن، ولعل الأوروبيين قد أدركوا ذلك عندما اطلعوا على التراث العربي، وعرفوا أن العرب ربطوا بين الحب والفن لأغراض فنية[٢].

وهنا يمكن الإشارة إلى العلاقة القائمة بين الفن والحب العذري والشعر الناجم عنه، أي أن إخلاص هؤلاء الشعراء كان للفن الشعري ، ولم يكن للحب العذري في حد ذاته، لأنه مادة الغناء ووقودها الرئيسي الذي به يزدهر الفن الغنائي .

إن المحور الأساسي هو الفن نفسه فالعاشق يعشق ذات العشق ؛ لأنه يمده بالفن ويبقي العلاقة العاطفية متأججة ، فهو يدرك أن استقرارها يؤدي إلى اضمحلال جذوة العاطفة التي تؤول إلى اضمحلال الفن وموته ، ولعل هذا التفسير هو الأكثر إقناعا في تفسير هذه الظاهرة ؛ لأنه يوضح جوانب كثيرة منها وما العوامل الأخرى إلا عوامل مساعدة أدت إلى اهتمام المجتمع بالظاهرة وبرواية قصصها وأشعارها .

---

(١) الجاحظ عمرو بن بحر، وسائل الجاحظ (رسالة القيان)، تحقيق عبد السلام هارون) ط (القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م)، ص ١٧٩.

(٢) أنظر: إبراهيم موسى سنجلاوي، المرجع نفسه، ص ٣٢، ٣٣.

٥-التفسير النفسي:

يقدم صادق جلال العظم تفسيرا نفسيا لظاهرة الحب العذري ، وهو تفسير خالف فيه كل من سبقه من النقاد والدارسين ، ويقوم تفسيره على ما يسميه ب " مفارقة الحب " ، فالحب بوصفه عاطفة إنسانية يتصف ببعدين رئيسين(١) : بعد الامتداد في الزمان ، أي لحظة دوام العاطفة واستمرارها عبر مدة زمنية معينه و وبعد الاشتداد وهو يدل على مدى عنف الحالة العاطفية وحدتها في لحظة معينة ما الزمن(٢) . ويرى أن نزعة الامتداد في الحب تتجسد في مؤسسة الزواج والأسرة التي تشكل حجر الزاوية في بنيان المجتمع واستمراره ، إما نزعة الاشتداد فتتجسد في المغامرة الغرامية التي تقوم على الغزوات والمفاجآت مما يزيد من عنف نشوة الحب وقوتها(٣) . إذن يسير الحب في اتجاهين متناقضين وينزع نزعتين متضاربتين لا يمكن إشباع احدهما إلا على حساب الأخرى .. أما قضية الحب العذري فيرى العظم أنها ضد مؤسسة الزواج؛ لان هؤلاء العشاق العذريين لم يكونوا عاجزين عن الحصول عن محبوباتهم حلالا أو حراماً، ولكن كانوا يرفضون ذلك الحصول عن قصد، فهم يتفقون مع شخصية الدون

(٧٩) يلتقي هذا التفسير في ظاهرتي الامتداد والاشتداد مع ما يقدمه ابن حزم الأندلسي من وصفه لمفارقة الحب الكبرى حيث بين أنها صراع بين النفس والعقل في مجال الحب . انظر طوق الحمامة في الألفة والآلاف ، ابن حزم الأندلسي ، ضبط نصه وحرر هوامشه ، د.الطاهر احمد مكي ، ط٢ (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٩٤م) ، ص ٣١٢ .

(٨٠) انظر في الحب والحب العذري ، صادق جلال العظم ، ص٣١ .

(٨١) انظر المرجع نفسه ، ص ٣٦ و٣٧ .

جوان في رفض رباط الزوجية، لكنهم يرفضون العلاقة الجسدية غير المشروعة ويؤمنون بالتوحد في عالم الحب وهو أمر لا يؤمن به الدون جوان (١).إن العاشق العذري لا يريد الحب الذي ينزع نحو الدوام والاستمرار في مؤسسة الزواج؛ لان ذلك لا يتحقق إلا على حساب اشتداد الحب وتوهجه، ولكنه يبحث عن حدة الانفعال في العشق ويريد العمل دوماً على تصعيد عنف عشقه وقوته إلى أعلى درجات التوتر الممكنة، وذلك بتركيز أحاسيسه على محبوبته واحدة، وليس كما يفعل الدون جوان بالتنقل من حبيبة إلى أخرى. (٢)

وبعد ذلك يصل صادق جلال العظم إلى تفسير ظاهرة الحب العذري على أساس بعد الاشتداد في عاطفة الحب. فيستنتج أنّ "العشق العذري محولة لمواجهة مفارقة الحب الكبرى، والتغلب عليها، باختيار نزعة الاشتداد في الحب ورعايتها وتحقيق رغباتها عن طريق رفض العلاقات العاطفية الدائمة المستقرة بين العاشقين خوفاً من أن يؤدي "الرباط المقدس" إلى اضمحلال الحب أو خفوته" (٣) وان "العاشق العذري لا يحب في الحقيقة شخص حبيبته بقدر ما يحب عشقه لها" (٤). ثم إنّ الحب العذري يعبّر عن " حالة مرضية متغلغلة في نفس العاشق وتتبين في ولعه بسقمه وهزاله وحرمانه وتلذذه بألمه وشقائه وتعاسته واستمتاعه

(٨٢) المرجع نفسه ، ص٨٢. عرض الدكتور لطفي عبد البديع لشخصية الدون جوان في الأدب الغزلي، انظر لطفي عبد البديع، دون جوان، سلسلة اقرأ، ط (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٩م).

(٨٣) انظر، د. صادق جلال العظم، في الحب والحب العذري، ص٨٨.

(٨٤) المرجع نفسه، ص١٠٠.

(٨٥) أنظر: د صادق جلال العظم، في الحب والحب العذري، ص ١٠١.

بحرقة الشوق الذي لا أمل في إشباعه، ولا تخلوا هذه الظاهرة من خصائص (السادوماسوكيه) من حيث إن العاشق يميل إلى تعذيب نفسه والآخرين بدون مسوغ وذلك لمجرد الاستمتاع بالألم والتلذذ به" (١). ثم إن الحب العذري " شهواني في أصله نرجسي في موضوعه ومنحاه"(٢) وأن قصة الحب العذري ليست إلا ((بديلاً خياليا لما تتوق إليه النفس من حرارة وحدة انفعال في الحب في وجه تقاليد القمع العاطفي السائد في المجتمع)) (٣).

إن الشاعر العذري يعبر عن صراع نفسي عميق في نفسه ، تظهر أثاره في ولعه بحرمانه وسقمه والتلذذ بالألم والاستمتاع بعذاب الشوق الذي لا أمل في إشباعه ، فهو دائما يميل إلى تعذيب نفسه من غير مسوغ إلا للاستمتاع والتلذذ بالعذاب .

إن التقرب من المعشوقة هدف العاشق لا يردعه إهدار دمه ولا نفيه ولا تربص الأعداء به ، وهذا التقرب ما هو إلا نوع من السادية \ المازوكية تؤذي الأنا وتعذب الأخر ، ولا مبرر لها سوى التلذذ بالأوجاع والآلام ، وكان بالإمكان أن يأخذ هذا التقرب مسارا أخر لو أن العاشق كسر حواجز المنع المتسلط عليه واقترن بمحبوبته ، ولكن الزواج بينهما يؤدي إلى إخماد نار الحب وبالتالي فتور الحب في نفس العاشق ، ولكنه يبقي على إثراء هذا الشوق بالبعد وعدم الاقتران بها ، كما انه من المثير للعجب أننا لا تجد طرحا لفكرة الزواج من المحبوبة نفسها ومناقشتها مع حبيبها

(٨٦) المرجع نفسه، ص ١٠٤.

(٨٧) المرجع نفسه، ص ١٠٨.

(٨٨) المرجع نفسه، ص ١١٠.

؟ هل كان ذلك متعمدا من قبل العاشقين ؟ ولعل هذا الأمر يكون متعمدا من اجل استمرار شيطان الشعر الذي يقتله الزواج .

٦- التفسير البنيوي التكويني:

يقدّم الطاهر لبيب تفسيرا بنيويا يعتمد فيه على البنيوية التكوينية كما ظهرت عند لوسيان غولدمان وملخص رأيه أن الواقع يقع خارج اللغة ، وهو ما يكشف عنه عبر مصطلح الانزياح ، أي أن اللغة تكتمل المستوى الحسي المادي ، وهذا المستوى هو مبعث لكينونة ذهنية مجردة يشكلها الذهن اعتمادا على هذا المستوى الحسي للغة ، فالواقع المتخيل هو انزياح للواقع المادي المعيشي(١).

قام بقراءة الأدب العذري قراءة جديدة في ضوء هذا المنهج ثم عمل على استنطاق المستوى اللغوي للأدب العذري ، لما بينه وبين المجتمع الذي نشا فيه من تماثل ، لان اللغة أداة التعبير عن الأفكار والمفاهيم السائدة في المجتمع الأموي الذي تأثر بالإسلام بوصفه حركة فكرية جديدة غيرت كثيرا من المفاهيم السائدة في المجتمع العربي القديم(٢) . جعل الطاهر لبيب الأدب العربي بنية شاملة دالة ، ثم عزل منها بنية جزئية " الغزل العذري : وقد لاحظ أن البنية الشمولية تستمد خصائصها من واقعها الاجتماعي والتاريخي ثم أنها بنية لغوية مستقلة ومتنامية ، وقراءتها لا تكون إلا ضمن واقعها السوسيولوجي ، أي أن خصائص البنية تستمد من الواقع وما البنية اللغوية إلا تشكي ذهني لهذا الواقع ، لكنه

(٨٩) انظر سوسيولوجيا الغزل العربي ، الطاهر لبيب ، ص٧.

(٩٠) انظر المرجع نفسه ، ص ٨ .

تشكيل منحرف فالأدب واقعة لغوية اجتماعية معا (١) ، فالحب العذري " كان في العهد الأموي أجوبة زمرة اجتماعية معينة على أسئلة طرحتا بنية اجتماعية جديدة مشبعة إيديولوجيا بتعاليم الإسلام ، إلا أنه لا ينبغي رد هذا الجواب إلى نقل مباشر للديني إلى العمل الشعري " (٢) .

يقترح الطاهر لبيب ثلاثة محددات يكمل بعضها بعضا ترتبط بدراسة الغزل العذري هي :

- **النص العذري بنية لغوية دالة من شأنها أن تحدد التعبير الشعري أو توجهه .**
- **بنية شاملة للكون العذري تعاني فيها الشخصية من محن وشقاء ، تحب أن تخلقها وتغدو ضحيتها من الناحية المازوشية .**
- **بنية جزئية تبرز الثنائيات الضدية والتوافقية في أطار البنية الشاملة الكلية توضح تلك العلاقة القائمة بين العالم الشعري والعالم الديني(٣).**

وقد بين من خلال دراسته للبنية اللغوية أن الشعرية العذرية يغلب عليها البحور التقليدية ، ويقل فيها البحور الغنائية مقرنة بالنتاج الحضري مما يربط العذريين بالبدو (وبالبحر الطويل خاصة) وبالحضريين كثرة استخدام البحور

(٩١) انظر المرجع نفسه ، ص ٨٠ .

(٩٢) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(٩٣) انظر المرجع نفسه ، ص١٣٥ .

الغنائية ويستخلص من الباحث عملية تهميش لغوي للعذريين([1]).

أمّا العالم العذري فهو مشدود إلى أساسه الاجتماعي التاريخي في العصر الأموي فالعذريون احتلوا موقعا خرج الصفين الاجتماعيين – الاقتصاديين وهم حضريو الحجاز والبدو ولم يلعبوا دورا سياسيا في تاريخ الإسلام ثم إن احتلال المسلمين لواحات يهود وادي القرى اضعف مواردهم الأمر الذي أدى إلى هامشية – اقتصادية لهذه الزمرة التي لعل الحب الذي تشكل لديها يمثل الجانب الأساسي من وعيها التجريبي .

إن تملك المحبوبة لرجل غريب غني عادة ما إليه في الشعر العذري يشير إلى تملك قطاعات كبيرة من الأراضي وإما بشرائها من ملاك غير عرب او بتنازل الحكام الأمويين عنها على هيئة اقتطاعات وبذلك ازدادت هذه المناطق فقرا بسبب استغلال أراض واسعة منها من غير أهلها ،ثم لازدياد الجبايات والإتاوات عليها التي لم يستطع أهلها دفعها للدولة ، مما أدى إلى هجرة من سكانها إلى المدن([2]) .

إذن هناك هامشية اجتماعية – اقتصادية لبني عذرة في العصر الأموي وقد انعكس ذلك في أدبهم فجاء معبرا عن تلك الهامشية وهذه الهامشية بينت أن موقعهم الاجتماعي جاء متوسطا بين الحضريين والبدو ثم تهميشهم من الناحية الاقتصادية ، وأخيرا يربط بين النتائج اللغوية والنتائج

(٩٤) انظر المرجع نفسه ،ص١٧٢ .

(٩٥) انظر المرجع نفسه ، ص ١٦١–١٦٣ .

الاجتماعية ويبين أن هناك هامشية لغوية للعذريين مقابل الهامشية الاجتماعية – الاقتصادية فالشعر العذري يتميز بإيقاع عروضي ذا توتر وسيط أما الإنتاجية البلاغية فهي منخفضة نسبيا ، وبالتالي فان عملية تهميش لغوي تتحقق في للإنتاج الشعري للعذريين([1]) .

إن الطاهر لبيب من طبق مفهوم البنيوية التكوينية كما جاءت عند لوسيان غولدمان وكان بذلك سباقا إلى هذه القراءة في ضوء مشروعها الجديد ،الذي يعد النقد الأدبي جزءا " من علم اجتماع المعرفة ؛ لأنه يحدد بين الذات والموضوع وبين الفكر والعالم وبين الفئات الاجتماعية واندماجها داخل نسق أوسع هي الطبقة الاجتماعية ، ويتحدث عن تكوين الفئات وأنواعها وتأثيرها في شعور الفرد واستجابة الفرد للشعور العام السائد " ([2]) .

ويصبح العمل الإبداعي عملا جماعيا وليس فرديا بحكم انتمائه إلى قطاعات اجتماعية وبالتالي فهو يتحدث باسم الضمير الجماعي الذي ينتمي إليه وتظهر تجلياته غي إنتاجه الأدبي .

٧- التفسير الأسطوري

يقدم الدكتور علي البطل تفسيرا أسطوريا للظاهرة العذرية يعتمد فيه على أسطورتين في التراث الجاهلي الأولى

---

(٩٦) انظر المرجع نفسه ، ص ١٧٠ – ١٨٣ .

[2])تأصيل النص _ المنهج البنيوي لدى لوسيان غولدمان ، د محمد ندين خشفة ، ط١ (حلب ،مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٧م) ، ص٥٦ .

تروي "أن الدبران عشق الثريا ، فذهب بخطبها من أبيها القمر ، إلا أنها قالت : ماذا اصنع بهذا السبروت الذي لا مال له ؟ فذهب الدبران يطلب الثروة ، وما لبث أن جمع ما أراد ، وعاد إلى الثريا يقود قطيعا من النجوم إمامه يسمونها (القلاص) ، فهي الإبل التي يقدمها مهرا لخطيبته ، وهو يدور خلف الثريا بقلاصه هذه ، لذلك يسمونه التابع أو حادي النجم . وقد أشار الطفيل الغنوي إلى وفاء الدبران بقلاصه وذلك بقوله[1] :

أما ابن طوق فقد وفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها

أما الأسطورة الثانية فهي تكمل الأسطورة الأولي إذ تروي أن سهيلا اليماني هو الذي تزوج الثريا في غيبة الدبران ، وكان عشارا غنيا " [2] .

أَيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيا سُهَيْلاً عَمْرَكَ اللَّهَ، كَيْفَ يَلْتَقِيانِ

هِيَ شامِيَّةٌ إِذا ما اِستَقَلَّت وَسُهيلٌ إِذا اِستَقَلَّ يَمانِ

ويبين علي البطل من خلال الأسطورتين العناصر الأساسية للقصة العذرية وهي : العشق ، الخطبة ، الرد ،

---

[1] ديوان عمر بن ابي ربيعة ، تحقيق كرم البستاني ، بيروت ،دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٧م ، ص ٧٥ .

[2] الغزل العذري واضطراب الواقع ، د. علي البطل ، مجلة فصول ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م ، ص ١٨١ .

الرحلة ، الزواج من أجنبي ، استمرار العاشق في عشقه وملاحقته لمحبوبته .

إن ما يقدمه علي البطل يثير إشكالية حول الظاهرة العذرية والقصص العذري وشعره ، وبالتالي يشير إلى أن مثل هذا النوع من الشعر والقصص ما هو الا من اختراع الشعب ، وهو من مخيلته ، فهو مجهول المؤلف وقصته تعتمد على عناصر قليلة اخترعتها المخيلة ولذا فهو من الأدب الشعبي مجهول المؤلف . وعليه ينكر د . البطل وجود الشعراء العذريين اعتمادا على هذا المفهوم إنكارا تاما على خلاف ما جاء به طه حسين من إنكار بعضهم ، ولعل مثل هذه القراءة فيها من الغلو الشيء الكثير بحق ظاهرة شاعت وانتشرت في التراث العربي [١].

إن العذرية ضمن هذا التفسير يأخذ شكلا من إشكال الحدث الخرافي المتجاوز للعادة ، وللقدرات الإنسانية والبشرية . غير أن هذا التفسير يدخل الدارس في إشكالية لأنه ربما يوضح أن العذرية تأصيل أسطوري رسخ في ثقافة الإنسان العربي وأصبح سنة متبعة عنده وبالتالي ينفي كل التفسيرات السابقة له التي بينت اثر العوامل التاريخية والدينية والنفسية والفنية وغيرها في حدوث العذرية .

([١]) انظر الشعر العذري في ضوء النقد الحديث ،، محمد بلوحي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، سوريا ، ٢٠٠م ، ص ١٩–٢١ .

الخاتمة

تناول البحث إشكالية العذرية في ثلاثة محاور هي إشكالية المصطلح ، وإشكالية مفهوم الظاهرة العذرية ، وإشكالية التفسير ، وقد انتهيت من خلاله إلى بعض النتائج التي حددت إشكاليات الظاهرة العذرية في دراسات المحدثين وهي :

١- تبين أن إطلاق مصطلح العذري كان من قبل طه حسين ولكنه لم يقصد به العذريين وإنّما هو اتجاه في الشعر ، ويكون بذلك قد خالف الكثير من الباحثين الذين نسبوا المصطلح إلى بني عذرة.وأطلق عليه الغزل العفيف للدلالة على أنّه لم يقصد به النسبة إلى قبيلة عذرة غير انه أطلق عند الكثيرين غيره نسبة إلى بني عذرة .

٢- إن مفهوم العذرية قد أشكل على الباحثين في كثير من سماته خاصة في ما يتعلق بالعفة فمنهم من رأى انه حب عفيف ومنهم من رأى انه حب عفيف لكنه لا يخلو من النوازع الحسية .

٣- إن العفة سمة جوهرية في الظاهرة العذرية اجمع عليها الباحثون ولكنهم اختلفوا في حدودها فبعضهم جعلها ركنا متعاليا وهذا مدعاة للمبالغة بينما الواقع أنها لا تحول دون وجود الرغبة وتململ الشهوة بين العاشقين فلم تكن عفة خالصة من الشهوات .

٤ – تعددت التفسيرات والتأويلات للظاهرة العذرية فجاءت مختلفة ومتنوعة ورغم أنها أضاءت الكثير من جوانبه العذرية المختلفة إلا أن أي قراءة منها لا توصف بالشمولية والإحاطة بالظاهرة وهذا يؤكد عمق الظاهرة العذرية ، وأشكلتها على الفهم ، فكل التفسيرات كانت مجرد مقاربات للاقتراب من فضاء النص العذري .

٥– –تعاملت التفسير التاريخي والاجتماعي والديني والنفسي مع الظاهرة العذرية على أنها إفراز لبنية المجتمع والعوامل التي نشأت فيه ، وقد أهملت الجوانب الفنية الإبداعية لهذا الفن الشعري .

٦– كانت الدراسة التي قدمها دكتور إبراهيم السنجلاوي على قدر كبير من الصحة ، حيث فسر نشوء الظاهرة فبين أن المحور الأساسي لتفسير الظاهرة الفن ، وجوهر الحب العذري يقوم على العلاقة بين الحب والفن ، يضاف إلى ذلك دراسة كل من صادق جلال العظم القائمة على التفسير النفسي ، ودراسة الطاهر لبيب القائمة على البنيوية التكوينية.

٧– تظل العذرية ظاهرة إشكالية وسيظل البحث فيها محاولة لفهم بعض جوانبها ، وستبقى من الظواهر المفتوحة التي تتعدد فيها الآراء والاجتهادات في من الظاهر المحيرة في تاريخ الأدب العربي حيرت الباحثين والدارسين على اختلاف اتجاهاتهم الأدبية .

المصادر والمراجع:

١- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري ، د يوسف بكار ، ط٢ ، بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٨١ م .

٢- الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦) ، خمسة وعشرون جزءا ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٦٣ م .

٣- تاريخ الآداب العربية ، كارلو نالينو ،نقله إلى العربية ' د . عبد الحليم النجار ، ط ، القاهرة ، دار المعارف ، د. ت .

٤- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، ط ، القاهرة ، دار الهلال ' ١٩٥٢ م .

٥- تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي ، د. شوقي ضيف ، ط ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٣ م .

٦- تاريخ دمشق ، ابن عساكر علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، ط١ ، بيروت، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ، د . ت .

٧- تأصيل النص _المنهج البنيوي عند لوسيان غولدمان ، د محمد نديم خشفة ، ط١ ، حلب ، مركز الإنماء الحضاري ، ١٩٩٧م .

٨- التطور والتجديد في الشعر الأموي ، د شوقي ضيف ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعرف ، د . ت .

٩- تطور الغزل في الجاهلية والإسلام ، د. شكري فيصل ، ط٥ ، بيروت ،دار العلم للملايين ، د . ت .

١٠- التطور والتجديد في العصر الأموي ، د . شوقي ضيف ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ م .

١١- جمهرة انساب العرب ، علي بن احمد بن سعيد الأندلسي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ م .

١٢- جميل بثينة ، عباس محمود العقاد ، ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، د. ت.

١٣- جميل بثينة والحب العذري ، خريستو نجم ، ط ، بيروت ، دار الرائد العربي .

١٤- الحب العذري عند العرب ، د. شوقي ضيف ، ط١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٩ م .

١٥- الحب المثالي عند العرب ، د . يوسف خليف ، القاهرة ، القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ م .

١٦- الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية ، د . محمد غنيمي هلال ، ط٢ ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٠ م .

١٧- الحب والجمال في شعر خريستو نجم ، حياة حدارة المراد ، ط، بيروت ، المكتبة الثقافية ، ١٩٩٤ م .

١٨- حديث الأربعاء ، د . طه حسين ، ط ١ ، القاهرة ، دار المعارف .

١٩- الحب والموت في شعر الشعراء العذريين في العصر الأموي ، د . إبراهيم موسى سنجلاوي ، ط١ ، عمان ، مكتبة عمان ، ١٩٨٥ م .

٢٠- الحب في التراث العربي ، د . محمد حسن عبد الله ، ط ، الكويت ، عالم المعرفة ، ١٩٨٠ م .

٢١- دون جوان ، د . لطفي عبد البديع ، ط ، القاهرة ، دار المعارف ، سلسلة اقرأ ، ١٩٥٩ م .

٢٢- ديوان جميل بثينة ، تقديم بطرس البستاني ، ط ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ،١٩٨٢م.

٢٣- رسائل الجاحظ (رسالة القيان)، عمرو بن بحر ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٦٤م .

٢٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ،ط١ ، بيروت ، دار الخير للطباعة والنشر ، ١٩٩٦م .

٢٥- الزهرة ، محمد بن داود الأصفهاني (ت٢٦٩ هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي ، جزءان ، ط٢ ، الزرقاء ، الأردن ، دار المنار ، ١٩٨٥م

٢٦- سوسيولوجيا الغزل العربي- الشعر العذري نموذجا ، الطاهر لبيب ، ترجمة مصطفى المسناوي ، ط٢ ، الدار البيضاء ، دار الطليعة ، ١٩٨٧م .

٢٧- شعر أبي نواس قي ضوء النقد الحديث ' د. احمد دهمان ، ط ، سوريا ، منشورات جامعة البعث ، ١٩٨٢م .

٢٨- الشعر الأموي بين الفن والسلطان ، د. عبد المجيد زراقط ، ط١ ، بيروت ، دار الباحث للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م .

٢٩- الشعر العذري في ضوء النقد الحديث ، محمد بلوحي ، سوريا ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠م .

٣٠- الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) ، تحقيق احمد محمد شاكر ، جزءان ، ط ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦م .

٣١- الشعر والمال ، د مبروك المناعي ، ط١ ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٩٨م .

٣٢- طبقات فحول الشعراء الجاهليين والإسلاميين ، ابن سلام الجمحي (ت ٢٣١هـ) ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط ، القاهرة ن مطبعة المدني ، د. ت .

٣٣- طوق الحمامة في الألفة والآلاف ، علي بن احمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) ، تحقيق الطاهر احمد مكي ، ط٢ ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٩٩م .

٣٤- العشاق الثلاثة ، د. زكي مبارك و سلسلة اقرأ ، ط١ ، القاهرة ، دار المعازف ، ١٩٤٤م .

٣٥- الغزل العذري _ دراسة في الحب المقموع ، د. يوسف اليوسف ، ط٢ ، بيروت دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٢م .

٣٦- الغزل العذري في العصر الأموي ، د احمد حسن صبرة ، ط(الإسكندرية : الصديقان للنشر والإعلان ، ٢٠٠١م) .

٣٧- الغزل في العصر الجاهلي ، د. احمد محمد الحوفي ، ط ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٦١ .

٣٨- في الحب والحب العذري ، د. صادق جلال العظم ، ط١ ، بيروت ، منشورات نزار قباني ، ١٩٦٨م .

٣٩- في الشعر الإسلامي والأموي ، د. عبد القادر القط ، ط ، بيروت ، دار النهضة ، ١٩٨٧م .

٤٠- في الشعر الأموي _ دراسة في البيئات ، د يوسف خليف ، ط، القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٩١م .

٤١- المرايا المتجاورة ، د. جابر عصفور ، ط ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٠م .

٤٢- المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس وآخرون ،مجمع اللغة العربية القاهرة ، د . ت .

٤٣- مصارع العشاق ، أبو محمد جعفر بن احمد السراج القارئ (ت٥٠٠هـ) ، جزءان ، ط ، بيروت ، دار صادر ، د.ت .

٤٤- النص الشعري ومشكلات التفسير ، د. عاطف جودة نصر ، ط١ ، القاهرة ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ١٩٩٦م .

٤٥- النقد الأدبي الحديث ، د. محمد غنيمي هلال ، ط ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٣م .

الدوريات

١- الغزل العذري واضطراب الواقع ، د علي البطل ، مجلة فصول ، ج٤ ، العدد الثاني ، ١٩٨٤م .

٢- العذريون والتصوف ، إحسان الملائكة ، مجلة الآداب ، العدد (٣) ، فبراير ١٩٨٥ م .